مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية

المجلد 12 / العـدد:01 (2022)،
ص 1005-1017

الحرية من ميتافيزيقا الفكر إلى فينومينولوجيا الفعل السياسي عند حنة أرندت

Freedom from the Metaphysics of Thought to the Phénoménologie of Political Action by Hannah Arendt

FATIMA MEKKI [1], MAGHOURA DJELLOUL[2]

[*]مكي فاطمة، د. مقورة جلول

[1] جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، fatima.mekki@univ-msila.dz

[2] جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، maghoura.djelloul@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: **2020/12/08** تاريخ القبول: **2022/02/07** تاريخ النشر: **2022/06/28**

ملخص:

تعد الدراسة التي بين أيدينا التي تخص دراسة فلسفية في حقبة معينة تؤطرها ظروف معينة وسياسات معينة، تكون كفيلة في ترسيخ الفكر وضرورة التفلسف، هذا ما أشارت إليه الفيلسوفة الألمانية حنة ارندت التي جعلت من التفكير أكثر من ضرورة لإخراج الإنسانية من شر السياسات الجاحفة، التي ردت الإنسان الى نوع من الجنس الذي لا تراعى فيه خصوصياته العاطفية ولا الشعورية[†]، ان مهمة الفيلسوف الخاصة هي اخراج البشرية من حالة العنف إلى حالة الحرية والديمقراطية الحقة، التي تكون فيها حقوق الإنسان محفوظة، وتكون هدف كل دولة تطمح إلى دولة الحق وهذا ما كانت تصبو إليه الفيلسوفة ارندت، التي عانت ويلات النازية وسياستها ضد اليهود والنظرة الاحتقارية التي وجهت لهم من طرف النزعة النازية بقيادة أدولف هتلر، والتي كرست جميع سياسات العنف وأشنعها الهولوكوست أو بما تسمى المحرقة الشاملة، وهذا ما جعل من الفيلسوفة ترفع قلمها وتهز فكرها في غمار النظرية السياسية بحيث جعلت الهدف الأساسي من الفعل السياسي هو الحرية وضمان الكرامة الإنسانية، وتحرر البشرية من النظريات المثقلة بالمبالغة في تضخيم الذات مما جعل الحكام ينتزعون هذه الاتجاهات المنحرفة في تطبيق سياساتهم، ونفسيتهم المرضية كالتدميرية والنرجسية وجنون العظمة والسيطرة المبالغ فيها في ريادة العالم وهذا ما استفز المفكر عامة و ارندت خاصة بصفتها تنتمي إلى دائرة النظرية السياسية التي ثمنت في بحثها هذا دور المؤسسات السياسية والمشاركة العلنية في ترسيخ فلسفة الحق وتكريس مبدأ الحرية كغاية أولى وأخيرة للسياسة .

---

* المؤلف المرسل :مكي فاطمة fatima.mekki@univ-msila.dz

الكلمات المفتاحية: السياسة، الحرية، العمل، العنف، الثورة.

Abstract:

The present study is intended to be a philosophical study covering a certain period characterized by specific circumstances and political climate, in the sense of consecrating thought and need to resort to philosophy. This is in line with the opinion of the German philosopher Hannah Arendt, who made thought more than a necessity in order to get humanity out of the evil of unjust policies that have reduced man to a species deprived of its emotional or conscious characteristics.

The essential mission of the philosopher is to bring humanity out of a state of violence towards a state of freedom and real democracy in which human rights are preserved by the constitution of each country aspiring to a State of Rights. It is in this register that fall the aims of the philosopher Arendt who lived the tortures of Nazism and its policy against the Jews displaying a contemptuous attitude towards them by the Nazist doctrine led by Adolf Hitler. The latter consecrated all policies of violence including the holocaust which embodies the most terrible of these crimes. Within this context, the philosopher raised her pen in order to shake her thought in the midst of political theory, putting the primary objective of political action, the freedom and dignity of the human being and the liberation of humanity of theories laden with megalomania. Her ideas have had an effect on the political leaders who have eradicated such deviant tendencies as destruction, narcissism, paranoia and hegemony in the application of their policies and their psychopathological thinking. Thus, thinkers in general find themselves challenged especially Arendt since she belongs to the circle of political theory, which in her research has valued the role of political institutions and public participation in the establishment of the philosophy of rights, and the consecration of the principle of freedom as the first and last objective of politics.

Keywords: politicians, freedom, action, violence, revolution

مقدمة:

تعد مشكلة الحرية من المشكلات التي تضرب جذورها عمق تاريخ الفكر البشري، فتاريخ الفكر الإنساني في مجمله هو تجلي للحريات الفكرية والممارسات السياسية لها، لأن الحرية ببساطة هي جوهر الإنسان فكرا وعملا فهي لحظة من لحظات تجلي العقل البشري داخل التاريخ والحضارة التي

هي تجلي للحرية، والحرية بمعناها الخاص مرادفة للإبداع والقدرة على المبادرة الشخصية وصناعة الذات والمجتمع، والحرية، حريات، حرية التفكير، حرية العمل، حرية الحياة، حرية الرأي.....إلخ، والمجتمعات التي تحترم الحريات العامة هي المجتمعات التي أدلت قيمة الحرية ودورها في بناء الحضارات، وغياب الحرية يؤدي إلى حالة من العنف داخل المجتمعات، وهذا ما ذهبت إليه المفكرة الألمانية حنة أرندت التي اعتبرت أن الحرية والعنف لا يلتقيان داخل الممارسة السياسية للدولة، فالحرية هي فعل خلاق يعبر عن كنه الإنسان وممارساته الحية، والعنف هو حركة تعبر عن اللاوعي او بعبارة هو نشاط نفسي واجتماعي وسياسي ضد كل ما هو حق ،فما هو مفهوم الحرية عند حنة أرندت؟، وهل استطاعت أن تؤسس الحرية كمنتهى لفعل سياسي ظاهراتي؟

يعد مفهوم الحرية من المفاهيم الأساسية في تاريخ الفكر البشري، والتي تسعى النظريات الفلسفية أن تضع مفهوما جامعا مانعا كي يكون خلفية للفكر والممارسة العملية لمفهوم الحرية، أي الانتقال من المفهوم الميتافيزيقي للحرية الذي يختصر في حرية التفكير أو الممارسة الذاتية للحرية إلى المفهوم الظاهراتي لفعل للحرية أي جعل الحرية فعلا سياسيا يعبر فيه الإنسان عن إرادته السياسية، وهذا الجدل القائم بين مفهوم الحرية في الفلسفة (الميتافيزيقا) وبين الفعل السياسي العملي لتصور الحرية، فالفعل السياسي هو الذي يقدم الإرادة الحية للحرية وتشكيل الوعي العام، كحرية إبداء الرأي والكلام والمعارضة والحوار والتداول العمومي، والحرية السياسية تعطي للمجتمعات حدود القانون واحترام الآخر للعيش في سلام وتشكيل دولة الحق والعدل، وسنقدم من خلال هذا التحليل الوصف الظاهراتي على حد تعبير الرياضي الألماني ادموند هوسرل لمفهوم الحرية وممارساتها السياسية والعملية عند حنة أرندت، وتحديد الفرق بين التصور الفلسفي والتصور السياسي لمفهوم الحرية، وما هي مضادات الحرية السياسية؟

1-حنة أرندت:Arendt, Hannah (1906-1975)، فيلسوفة ومنظرة سياسية ألمانية من أصل يهودي، عاشت ظروف الحرب العالمية الثانية، في ألمانيا بعد اعتلاء الحزب النازي وصعود هتلر، الذي يكن عداءا شديدا لليهود، حيث اضطرت للهجرة إلى فرنسا ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأصبحت مواطنة أمريكية بالتجنس، وأكملت مسيرتها الفكرية والعملية هناك، إن أحداث العالم في فترة الحرب العالمية الثانية أثرت على سردية فكر حنة أردنت حيث عاشت الاغتراب النفسي والاجتماعي الذي جاء جراء هجرها من ألمانيا إلى الو.م.أ، حيث كانت جل مؤلفاتها تحمل أزمة روح العصر الذي يعاني العنف الشديد جراء الأنظمة الدكتاتورية التي اعتلت السلطة داخل أوروبا هتلر في ألمانيا، ستالين في روسيا، موسوليني في إيطاليا، حيث حولت العالم إلى جحيم، **"وتحامي في كيانها من الكذب إلى العنف (1973)، عن فكرة شبه طوباوية لديمقراطية جذرية تصدر فيها الدولة عن مجالس بدون أن يكون أساسها مبدأ السيادة وبحيث لا يكون لها سوى وظيفة أفقية إن جاز التعبير"(جورج طرابيشي، 2006، ص9)** ، حيث عملت هذه الظروف على صياغة وسردية الفكر عند أرندت، وترى أن ظاهرة

العنف التي اعتلت العالم هي نتيجة لحركة اللاوعي التي تسير الأشخاص أي فساد الجهاز السياسي للدولة، فالعنف نقيض للحرية والديمقراطية، لأن الحرية تعبي عن أسمى معاني الإنسانية وأرقا الأفعال السياسية الواعية التي يعبر عنها العقل، والعقل هو من يشرع لأفعال الإنسان وإرادة الجماعة.

ومن أهم المؤلفات الفلسفية لأرندت وفي النظرية السياسية هي: أسس التوتاليتارية، الوضع البشري ما السياسة، في العنف، في الثورة، حياة الروح، أزمة الثقافة، بالإضافة إلى أعمال أخرى نشرتها كمقالات نتيجة لوظيفتها كإعلامية، كتغطيتها لمحاكمة أيخمان في القدس، التي أثارت جدلا واسعا حول آرائها حول القضية، فإذا آثرنا أن نضع مفهوما للحرية بمعناها الظاهري على القدرة على الإبداع والخلق والاختلاف والتفرد، والتي تطابق عمل الإرادة الذاتية، هذا بالنسبة للعمل الداخلي أو الحس الشعوري بها، أما في الفضاء العمومي (السياسة) فتكون هناك أبعاد قانونية وصياغات دولية للممارسة العملية للحرية، فتشكل هنا صرحا واسعا من المعاني المشتركة داخل المواطنين، كالاحترام والمشاركة....إلخ.

ويعرف سارتر فيلسوف الحرية على أنها: هوي الكائن البشري، **"إن الإنسان ليس إنسانا إلا بحريته فالحرية يصح اعتبارها تعريفا للإنسان وإننا نريد أن نجعل حريتنا هدفا نسعى إليه، إلا أن تعتبر حرية الآخرين هدفا هو أيضا نسعى إليه"**(جون بول سارتر، 2003، ص117)، إن البعد القيمي الذي أضافه سارتر لمفهوم الحرية، هو الذي أعطاها بعدا إنسانيا، يهدف إلى احترام الذات واحترام الغير، في الحدود التي يخلقها الضمير الداخلي، النابع من الإرادة الداخلية.

إن الممارسة الحقيقية للحرية هي ممارسة عقلية واعية للواقع المعيش وآليات الجهاز السياسي ومنهجه حتى تتراءى المفارقات داخل الحقوق والواجبات، فالقدرة على ممارسة الفعل الحر هي القدرة على ممارسة الكلام والرفض، والمشاركة السياسية، فالحرية تعني القدرة الواعية القادرة على إصلاح الذات ومنها نفي الذات العبثية، إن هذه الجدلية الفكرية والإصلاحية هي التي تعمل إيجابا على إصلاح الذات داخليا وخارجيا، وبهذا يعرف المفكر علي حرب الحرية على أنها: **"ليست مجرد انفلات من القوالب والآليات والشبكات العقائدية أو الاجتماعية أو الإعلامية، بقدر ما هي قيادة الذات وصناعة الحياة، عبر خلق الوقائع وإنتاج الحقائق في مجال من المجالات المعرفية أو الجمالية أو التقنية أو الاقتصادية أو السياسية، تلك هي المسألة، أن نمارس حريتنا هو أن نعمل على تفكيك آليات العجز لتغيير قواعد اللعبة، بتشكيل عوالم ومجالات أو خلق أساليب وفرص تحدث تحولا في الفكر، وتسهم في تغيير الواقع، لقدر ما تمتلك هي نفسها واقعيتها"(** علي حرب، 2005، ص13**) .**

إن الطابع الثوري للحرية هو الذي يعطيها بعدا عمليا، وتعمل على تغيير الواقع عن طريق خلق مجالات حرة تعكس النشاط الخلاق للفرد، وأن تعمل على فك العجز الذي بداخلنا الذي يكسبنا استكانة داخلية.

إن التضارب في حدود مفهوم الحرية وتصوراتها، ناتج عن اختلاف المذاهب والنظريات والمدارس الفكرية، فالمدارس العقلية تعتبر أن الحرية هي القدرة على تأمل الذات ومنها إصدار قرارات شخصية تعبر عن الرأي الداخلي، وبهذا فإن الحرية هي ترجمة لحرية فكرية داخلية حبيسة الجهاز النفسي للإنسان، وهناك من يرى أن الحرية لا تنحصر في هذا المفهوم الذي يجعلها ظاهرة ميتافيزيقية خالصة لا علاقة لها بالمشاركة الاجتماعية والسياسية، فالحرية عند هذا الاتجاه هي حرية تكسب الفعل السياسي الشرعية الحقيقية كعملية الفهم العام في الفضاء العمومي.

إن الممارسة الفعلية للحرية عند حنة أرندت هي تلك التي تجعل الفرد على ثقة تامة من ممارسة أفعاله وأقواله داخل مؤسسات الدولة أو بعبارة أخرى "تجعل من الحرية أثيرا يلتقطه كل فرد، فهي حسبها هي عين الديمقراطية التشاركية، وبهذا تصبح الحرية قمعا لكل الإكراهات السلطوية الغير واعية، فهي مضادة لكل عنف.

2-التصور السياسي لمفهوم الحرية عند أرندت:

تعتبر حنة أرندت أن "الفعل" هو الذي يؤسس لمعنى الحرية داخل الدولة، فهي تقدم مفهوما لوعيها الأنثروبولوجي لتاريخ البشرية ودراستها التاريخية والنفسية الخاصة بأزمات العالم وصعود الأنظمة التوتاليتارية، إن هذا الوعي جاء من خلال نقدها لمركزية "الأنا" داخل البحوث الفلسفية والممارسات السياسية والدوافع والرغبات (الشريرة) التي تترجمها حركة التاريخ بداية من الإغريق والرومان، إن الثقة العمياء بالذات أو "الأنا" هي التي جعلت من مقولة الحرية تنحرف عن مسارها الأصلي وتتجه نحو "العنف" كفعل إنساني غير مشرع.

وترى أرندت أن الحرية هي القضية الأم التي يجب السعي وراء تحقيقها، والإطاحة بكل رموز الاستبداد التي تشرع العنف، وتهدم الحضارة والتاريخ **"فلم تعد هناك من قضية سوى القضية الأقدم ألا وهي قضية الحرية إزاء الاستبداد تلك القضية التي تشكل في حقيقة الأمر، وأجود السياسة ذاته منذ بداية تاريخنا"(حنة أرندت، 2008، ص 13)** ، إن الهدف الأساسي من وجود السياسة هو تكريس الحرية.

والحرية عند أرندت لا ترتبط بسلطة التفكير في إمكانات الاختيار الداخلي، فالحرية هي القدرة على صناعة فعل داخل المنظمات السياسية للدولة، وبهذا تجاوزت النظرة المغلقة والمتحجرة لمفهوم الحرية المنحصرة في المقولات التأملية كالإرادة والاختيار والاستبطان الداخلي، فهذا المفهوم هو الذي حجب عنا حقيقة الحرية والغرض من وجود السياسة عبر التاريخ، لتضع محلها مفاهيم عملية تطغى عليها رمزية الفعل والمشاركة والنقاش والحوار والكلام والعمومية.

إن التمييز بين الحرية السياسية والحرية الفلسفية هو الذي يمكننا من إخراج فعل النظر والتأمل إلى ظاهرية الحرية والوصف الفينومينولوجي لها أي أن منتهى الحرية هو الفعل، أي أن

كوجيتو الحرية عند أردنت هو "أنا" وبذلك تنفي سلطة الأنا على الحرية الخاضعة للإرادة الداخلية التي يمليها الشعور بالأخذ أو الترك.

فغاية الحرية السياسية هو وضع الإنسان في منصبه الحقيقي وإعادة النظر في ممارسته الفعلية الواعية الذي تضعه داخل التجارب المعيشية المشتركة، أي داخل إطار العمومية، **"وفي هذا تصرح أرندت: أن مشكلة الحرية الحاسمة بالنسبة إلى موضوع السياسة، وليس في مصلحة أية نظرية سياسية أن تتجاهل هذه المشكلة التي قادتنا إلى الغاية المعتمة التي ضلت فيها الفلسفة طريقها"(حنة أرندت، 2014، ص203)** ،فهذا الانحراف هو الذي جعل من الإنسان يعيش غربة سياسية وفعلية لأن مفهوم الحرية ظل مفهوما فلسفيا بامتياز وتضيف أردنت مواصلة نقدها **"إن التقاليد الفلسفية التي سنبحث في مصدرها من هذه الناحية في ما بعد، قد شوهت بدلا من توضح فكرة الحرية كما تصورها الخبرة الإنسانية، بأن نقلتها من مجالها الأصلي وهو ميدان السياسة والشؤون البشرية عامة، إلى ملكوت باطني وهو الإرادة، حيث تتعرض لمراقبة النفس، ومن أجل تقديم تبرير في البداءة...إن الميدان الذي كانت الحرية دائما معروفة فيه لا لمشكلة بل لحقيقة من الحقائق اليومية، هو ميدان السياسة"(حنة أرندت، 2014، ص204).**

إن المتبصر في فلسفة أردنت السياسية ومشكلة الحرية وفي تصورها لها، يرى أنها لم تقدم مفهوما للحرية أو صياغة منطقية لها حيث قدمت وصفا كيفيا لممارسة الحرية حيث تجاوزت سؤال "الماهية" إلى سؤال "الكيف"، فسؤال الماهية سيجعل الحرية حبيسة النظر والتأمل وسؤال الكيف يضفي الشرعية اللازمة لممارسة الحرية أو الحرية كفعل ومنها لتبرير الفعل الإنساني وما مدى صحته أي خضوعه لقانون الفاعلية الأخلاقية المجتمعية والسياسية.

وفي هذا الصدد ترى أرندت أنه يجب العودة إلى التجارب اليونانية في فهم التصور السياسي لمعنى الحرية وفلسفة الفعل البولتيكي داخل دولة المدينة، فهذا الفهم قائم على الحوار الفعال، والنقاش وأفعال الكلام والقدرة على النقض، والعمل، والإبداع، حيث انتقلت الفكرة من كون الإنسان "حيوان ناطق" إلى أن الإنسان "حيوان سياسي" حسب "أرسطو" إن عقلية الحرية لهوية سياسية هو ما عمق فكرة الفعل عند "اليونانيين فهم من جسد فكرة الديمقراطية داخل دولة المدينة فالديمقراطية شكل من أشكال الممارسة العملية لمفهوم الحرية، وهي تقف وجها لوجه ضد العنف والممارسات اللاعقلية لكل أشكال الحكومات والسلطات المستبدة، وفق هذا النمط تحدد الحرية السياسية مبدأ احترام الآخر وفق مبدأ المساواة.

ويلعب الحوار دورا هاما في تشكيل حركة الوعي القائمة على مبتدئ العقل داخل أجهزة الدولة، فهو يعزز آلية الفهم والمشاركة الفعالة من خلال فعل التداوت، و منها القدرة على إعلان الرأي والمشاركة العلنية أي داخل الفضاء العمومي.

إن الفجوة بين الماضي والحاضر التي يعيشها الإنسان المعاصر هي نتيجة الابتعاد عن تقاليد الفلسفة الأولى فلسفة التوازن وبزوغ العقل خاصة عند أفلاطون وأرسطو، إن هذه الفجوة قد ولدت مستقبل دون عنوان، مستقبل له يحمل تاريخا خاويا من صلاته لماضي الجبار، الذي وضع الأسس العامة للفكر الإنساني والإرث الحضاري، **"فقد استطاعت بداءتها أن تحمي الأشياء وتنسقها، وكذلك أصبحت التقاليد هدامة حينما اقتربت نهايتها، فضلا عن حالة الفوضى والعجز التي حلت بنا على أثر انتهاء التقاليد، والتي مازلنا نعيش فيها حتى اليوم"(حنة أرندت، 2014، ص49).**

ففي الفترة المعاصرة عانت المجتمعات من العنف المتزايد، العنف الصادر عن البشر الطابع في الإنسان الذي ترجمته صعود الأنظمة الفاشية وعلوها الحكم، أين عاشت الإنسانية ظروف قاهرة فقدت فيها أسمى غاياتها الوجودية فتفاقم ظاهرة العنف هو ما جعل السياسة تتلاشى، لأن السياسة تكرس الحرية لا للعنف، والحبل الحاصل بين سقوط السياسة وصعود العنف هو اغتراب الإنسان ومقولاته الحقيقية وراء سادية ومازوشية الحكام، وأن السياسة والحرية هو شيء واحد إذا اختفت السياسة سيؤدي حتما إلى اختفاء الحرية: **"من دونها لا معنى للحياة السياسية كحياة سياسية، إن السبب المبرر للسياسة هو الحرية، ومحكمها هو العمل" حنة أرندت، 2014، ص204).**

3-الثورة بوصفها تكريس لمبدأ الحرية:

يعبر مفهوم الثورة عموما على التغيير الحاصل في واقع الممارسات الاجتماعية السياسية من أجل الحصول على واقع أكثر نزهة وعدالة، فلفظ الثورة هو لفظ سياسي بامتياز، فالملاحظ لتاريخ الأمم والحضارات يجد أن مصطلح الثورة وليد الفكر الفلسفي والسياسي، فالثورة تعبر عن تغيير جذري إزاء أوضاع سياسية جاحفة جاحدة لحقوق الإنسان وأبرزها حق الحرية والعمل السياسي، وهذا ما تشير إليه أرندت إلى أنه السياسة هو من خلق مفهوم الثورة، وترى أرندت أن مصطلح الثورة هو مصطلح تقليدي احتفى به الماضي الذي خلد للثورة ومعاني الحرية، فاستذكار الماضي هو نظر عميق في بناء المستقبل على نحو تتراءى فيه سمات السير الصحيح نحو خلق عالم معيش أفضل تتحقق فيه المقومات الحقيقية لممارسة السياسة الحقة ومنها تحقيق الحرية.

ومن خلال الشراك وفعل العنف بين الحرب والثورة فهل يمكن قيام ثورة تكون بذلك مؤسسة لمعنى وماهية الحرية؟

4-**معنى الثورة:** إن ظاهرة الحرية حسب أرندت هي ظاهرة ولدت من رحم الفعل السياسي، كضرورة قصوى لإخراج المجتمعات من العبودية لذا فغاية الثورة هي الحرية: **"إن كلمة "ثورة"، لا تنطبق إلا على الثورات التي يكون هدفها الحرية" حنة أرندت، 2014، ص204)**، وإن حالة الحرب هو تعبير عن النزعة العدمية للإنسان المتسلط الذي يحذو حذو فهمه الخاطئ لمفهوم الحرية، والحرب يشرع العنف بكل أشكاله ويقضي على كل أنواع الممارسات الإنسانية فهو طغيان النزعة الحيوانية على النزعة الإنسانية.

وتفرق أرندت بين الثورة الفرنسية والثورة الأمريكية، بحيث أن الثورة الفرنسية كانت ثورة ظرفية لواقع عاشته المجتمعات الفرنسية في ظل العائلة الحاكمة، فهي نتيجة ظروف اجتماعية بائسة تسودها اللامساواة الاقتصادية، أما الثورة الأمريكية هي التي أدركت المعنى الحقيقي لفعل الحرية وكرستها كممارسة سياسية على نحو مستمد من القانون الطبيعي للبشر داخل الدستور الذي تتبعه كل الأجيال باختلافهم، أن استغلال الثورة في تحقيق مآرب اجتماعية كالفقر، والبؤس هو تشويه لمعنى الحرية وانحرافها عن أصلها الحقيقي، وبهذا ستكرس لعقلانية عبثية تحكمها الغايات البيولوجية لاستمرارية الوجود، فالوجود الحقيقي عند أرندت هو وجود المعنى وجود داخل هوية تكرس معنى الحرية.

إن الاستمرار الاقتصادي وتحقيق السعادة المالية سيكون ظرفيا ويجعل الفرد تحت عبودية متصاعدة، أما الحرية التي تسعى لها الإنسانية هي حرية فاعلة تعطي للنهاية لا نهاية أي استمرار الأثر بعد الموت وفي هذا تقول أرندت: **"لن يكون من حقنا الحديث عن الثورة إلا إذا كانت الجدة مرتبطة بفكرة الحرية" حنة أرندت، 2008، ص38).**

5-"العنف كقوة مضادة لفعل الحرية:

"الوجه الغير شرعي في الممارسات السياسية":

إن النظرية السياسية عند حنة أرندت تضع نصب عينها فكرة العنف كفعل مضاد الذي يحيل دون تحقيق الفعل الديموقراطي، وبعبارة أخرى العنف في مقابل الحرية ،كنظرية تحليلية للممارسات الغير شرعية داخل الدولة، حيث تعتبر أن العنف باختلاف مستوياته هو ضد الحرية ولا يمكن أن نطلق عليه كما اعتاد عليه البعض "عنف مشروع"، فالعنف والسياسة لا يرتفعان معا، بحكم اختلاف طبيعة كلاهما فالسياسة غايتها الحرية، والعنف غايته الفوضى وغياب المشاركة والحوار، فطبيعة العنف هي طبيعة آداتية بامتياز، **"أن السلطة تكمن حقا في جوهر حكومة، لكن العنف لا يكمن في هذا الجوهر، العنف بطبيعته أدواتي"(حنة أرندت، 2013، ص45).**

إن من معوقات الفعل السياسي الحر الذي غاب في المجال العمومي للفكر المعاصر، وما زاد من طمس معانيه وكنهه الأصلي هو حركة التزييف والكذب والعنف والآداتية الغير مشروعة، إن هذه الجدلية ستبرز معنى الوصف الظاهراتي لحقيقة الحرية التي تتجسد في النقاش الأخلاقي والتفاهم والحوار الجاد الفعال الخاضع لمعايير الجدل المنطقي والاخلاقي داخل الفضاء العمومي، إن القدرة على الكلام وإبداء الرأي هي عين الحرية فالمشاركة الفعالة والمثمرة في السياسة هي أسمى الحقوق الإنسانية.

فالسلطة بدورها تعمل على امتصاص العنف والنزعة الآداتية والتدميرية داخل الجماعات وتشيد هنا أرندت للدور الديموقراطي وتشييد معالم الحرية والممارسة الأخلاقية للعمل السياسي الذي كرسه هابرماس من خلال نظريته السياسية القائمة على فعل التواصل، الفعل الذي كرس عقلية الحوار داخل الجماعات السياسية، فأخلقة التواصل والحوار عمل إيجابا على امتصاص ظاهرة العنف ولو نظريا، من خلال نقده للعقل الآداتي الذي كرس كل مظاهر العنف والاغتراب، فالعقل التواصلي محاولة جادة لإيتيقا معاصرة لا لمال المشروع الحداثي من خلال تحويله لعلم الاجتماع إلى فرع من فروع الاتصال القائم على فلسفة اللغة.

فالعقلانية التواصلية حسب هابرماس، **"العقل التواصلي يضع مقاييس العقلنة تبعا للعمليات البرهانية التي تسعى إلى تبرير ادعاءات الحقيقة القضوية والدقة المعيارية والصدق الذاتي وأخيرا الانسجام الجمالي بطريقة مباشرة"(محمد نور الدين، 1998، ص212)** ، وبهذا المفهوم الايتيقي الذي يقدمه هابرماس للتواصل يته إيجابيا نحو تأسيس لوغوس كوني أخلاقي تنص عليه الأبستمولوجيا العقلية الواعية كمشروعية لتحقيقه، فالمجال العمومي التشاركي هو الذي يتيح هذه الايتيقا الواعدة.

إن آراء أرندت حول العنف هي آراء نقدية وابستمولوجيا معرفية تفكيكية للواقع السياسي الذي تعيشه المجتمعات المعاصرة فنظرية أرندت حول ابتذال السياسة الحقيقية هي ما مدى تأسيس الحرية داخل القضاء العمومي؟ .

إن إشكالية المعنى لروح السياسة والفعل الحر هي التي تدحض فرضية وممارسة الكذب والعنف التي تنقلنا الى حالة من الديمقراطية التشاركية الحرة والأخلاقي، التي تضمن الاختلاف والاحترام داخل المجتمعات وتعمل على إذابة الحواجز التي تحيل دون وقوع التفاهم، لأن السياسة تبنى على واقع التعددية الإنسانية، وأن الأنظمة الشمولية هي التي عملت على تخريب مفهوم الإنسان، الإنسان الذي يعيش صحراء بداخله، **"إن الإيديولوجيات الشمولية لاستبعاد الإنسان تثبت أنه من خلال الصيرورات التي جددته ليست في نهاية المطاف سوى مجرد ثرثرة فارغة، تتناقض بفعل حقيقة أن البشر يحتفظون بالهيمنة على العالم الذي شيدوه وبراعة القدرة التدميرية التي قد تمكنوا من إنشائها"(أرندت حنة ، 2014، ص91).**

وفي نقد أرندت لمعنى السياسة بين الماضي والمستقبل تطرح سؤالا جوهريا هو ما زال للسياسة في النهاية من معنى؟

إن الإجابة على هذا السؤال في الفكر التنظيري للسياسة عند أرندت يجب العودة جميعها إلى الماضي لأنه حافل بالحرية التي كانت غاية لفعل السياسة. **"تستطيع إذن إجمالا اليوم أن نجيب عن معنى السياسة بمساعدة المقولات والتصورات القديمة التي هي متهمشة ومن هنا أيضا محترمة"(أرندت حنة ، 2014، ص66).**

إن لسؤال المعنى أثار عند أرندت فلقا كبيرا خاصة بعد تنامي النزعة الأداتية للعنف الذي أفرغ الحياة من معناها، حيث أصبح الفرد يعيش خوفا وقلقا مستمرين، أفقد السلطة السياسية وأفرغت الحياة والحرية من الساحة العمومية، وهنا تشيد أرندت إشادة خطرة لفقدان حسن المعنى للسياسة : **"كان السؤال عن معنى السياسة دائما يخص اليوم انتهازية وسائل العنف العام، فإنها تأخذ نقطة انطلاقها في الواقع البسيط العنف، الذي يجب عليه حماية الحياة أو الحرية، بل الحياة نفسها، لأنه ثبت بدقة أن زيادة الوسائل الدولية للعنف التي تضع موضع استفهام الصيرورة الحياتية للإنسانية كلها أن الجواب، في ذاته أيضا أكثر إشكالية، أو أن الحداثة أعدت لسؤال معنى السياسة اليوم غموضا مضاعفا"(أرندت حنة ، 2014، ص69).**

إن كل منشغل بمسألة التنظير السياسي عليه أن يتساءل عن خلفية السياسة القائمة وعن سؤال المعنى في إمكانية تأسيس السلطات والغاية منها، إن أرندت طرحت سؤال معنى السياسة، هو ما تعنيه في فلسفتها عن ارتباط العنف وتشابكه في الممارسات العملية وتبريره داخل السياسات الدولية وكأن العنف وسيلة لتحقيق السياسات الخارجية التي تتبنى خلفيات غير معلن عنها، وهذا ما نلاحظه اليوم داخل العلاقات الدولية، فالمنطق الذي صاغ سياسة العالم المعاصر هو منطق العنف الذي

يمليه الشر البشري في نزعته التدميرية وإمكان قيام الحرب بدون شرعية المبررات، فبهذا غاب مفهوم الحرية وراء مغالطات مفاهيمية وتمويهات تبررها القوة على أنها حق وشرعية وحرية، وإذا ما عدنا إلى التأسيس السيكولوجي لهذه النزعة نجد أن فرويد يرى أن نزعة الموت متجذرة في الإنسان مثلها مثل نزعة الحياة أو البقاء، فغريزة الموت هي التي تنمو لا شعوريا وتؤدي إلى النمط النكروفيلي، والرغبة الشديدة في قتل الآخر.

"وإن سؤال عن معنى السياسة هو اليوم أكثر إلحاحا، بالاعتماد على حجم الخطر المحدق بالإنسان بسبب الحرب والسلاح النووي، لذلك من الضروري أن نبدأ توضيحاتنا من خلال التفكير فيما يتعلق بسؤال الحرب"(أرندت حنة ، 2014، ص76) ،إن هذه الأفعال المشروعة (العنف والحرب) هي التي ستبيد البشرية، فالقوة الإنتاجية هي التي خلقت للعنف أدوات تدمر العالم والإنسان على حد سواء.

إن السياسات الدولية العاجزة عن صناعة الفعل وبالأحرى صناعة الإنسان الفاعل، هي سياسة فاشلة لأن "الفعل" هو الذي يقرر نجاح الحرية السياسية لهذا تقدم أرندت في كتابها الوضع البشري تمييزا بين ثلاثة أنماط لممارسة النشاط وهي العمل والعقل، والأثر، فما هو الفرق بين هذه النشاطات؟ وما هو النشاط الذي يكرس معنى الحرب ظاهراتيا؟

أ-العمل: حسب أرندت**"إن العمل هو النشاط الذي ينطبق على المسار البيولوجي للجسم البشري الذي يكون نموه الأبيض وربما الفساد، اللذان يرتبطان بالإنتاجات الجزئية التي يغذي عملها هذا المسار الحيوي، إن الوضع البشري للعمل هو الحياة ذاتها"(حنة أرندت، دت، ص27)** ،أي أن العمل هو تتمة للغاية البيولوجية للإنسان لاستمراريته، وهي علاقته المباشرة بالطبيعة وتحويلها، فتستمر بذلك دورته الحياتية، أو هو الحياة ذاتها.

ب-الأثر: "هو النشاط الذي يطابق لا طبيعية الوجود البشري، الذي لا يكون مغروسا في الفضاء والذي لا يكون نسبة الوفيات فيه معوضة بالعود الأبدي الدوري للنوع، إن الأثر يعطي عالما اصطناعيا من الأشياء، عالما مختلفا بوضوح عن كل محيط طبيعي، وأنه داخل حدوده تقطن كل واحدة من الحياة الفردية، بينما يكون هذا العالم ذاته مخصصا للبقاء بعد فنائها ومتعاليا عنها جميعها، إن الشرط البشري "للأثر" هو الانتماء إلى العالم"(حنة أرندت، دت، ص27) ،والأثر يعني القدرة الإنتاجية الصادرة عن الصناعة وتحوير الطبيعة فهي تعني بأسلوب أدق هو الانتماء الممتد داخل العالم أي تعطي إمكانية الاستدامة داخل العالم، لأن عالم الأشياء يعطي استقرارا للحياة البشرية.

ج-الفعل: "هو النشاط الوحيد الذي يضع البشر مباشرة في علاقة دون وساطة الأشياء ولا وساطة المادة، يطابق الوضع البشري للكثرة، وفي الواقع فإن البشر لا الإنسان يعيشون على الأرض ويسكنوه العالم، وإذا كانت لكل مظاهر الوضع البشري بشكل ما علاقة بالسياسة، فإن هذه

الكثرة هي بالتحديد –لا الشرط الضروري فحسب بل الشرط الذي لأجله- أي شرط كل حياة سياسية"(حنة أرندت، دت، ص27).

إن الفعل هو الذي يجعل من الفعل السياسي أكثر مشروعية لأنه تكريس للحرية، إن اهتمام أرندت بالإنسان الفاعل هو اهتمام بطبيعة النشاط السياسي وأولويات العمل الحد الذي يربط الإنسان دون وساطة في الفضاء العمومي، وبالآخر بحيث يحرر الإنسان من عزلته، إنها لحظة فهم الإنسان من خلال دراسة أرندت لأنثروبولوجيا الفعل السياسي وتشكيل الحرية وممارستها، فجوهر الإنسان يكمن في الفعل، فالفعل هو الذي يضيف للإنسان استمراريته اللانهائية داخل السياسة، ومن هنا تبين لنا ملامح الممارسة السياسية لفعل الحرية وشروط إمكانها داخل الفضاء العمومي،

إن مبدأ الكثرة هو شرط لقيام الحرية داخل الفضاء العمومي، فهو يضع نصب أعيننا مبدأ احترام الآخر القائم على لغة الاعتراف لأننا جميعا بشر ولو اختلفنا **"إن الكثرة هي شرط الفعل الإنساني لأننا متشابهون جميعا، أي: أننا بشر، دون أن يكون أحد منا مماثلا لإنسان آخر كان قد عاش وهو يعيش أو هو كذلك سيعيش"(حنة أرندت، دت، ص27).**

إن هذه الأنشطة (الفعل، العمل، الأثر) مترابطة بشكل حميمي فهي تضمن إمكان الاستمرار البيولوجي والمعنوي وتربط بين الذات والذوات الأخرى في علاقة تحددها طبيعة التواجد داخل الوجود الاجتماعي والسياسي، فلا يمكن تصور حياة الإنسان خارج عن متطلبات الحياة التي تعكسها الأفعال الثلاثة السالفة الذكر، إلا أن الفعل أو الإنسان الفاعل يضل هوية وغاية الوجود البشري وبهذا تقول أرندت موضحة موقفها إزاء الفعل: **"إن الفعل باعتباره النشاط السياسي الحق، والولادات في مقابل الوفيات، تكون وبلا شك المقولة المركزية للفكر السياسي، في مقابل الفكر الميتافيزيقي"(حنة أرندت، دت، ص27)** ،أي أن الفعل هو الذي يضع الحرية جوهر الممارسات السياسية، وأن أي سلطة قائمة على نفي الحرية هي سلطة جائرة فاقدة لمعنى جوهر الإنسان فهي تعمل على اغتصاب الحقوق والحريات، وبهذا تكون سلطة جائرة مستندة إلى العنف كأشنع وسيلة تكون ضد حياة البشر بحيث تهدد استقرارهم الأمني وتزرع الخوف.

خاتمة:

ومن خلال ما قدمناه من تحليل لظاهرة الحرية والوصف الفينومينولوجي للممارسة الحقيقية لفعل السياسة، نستنتج أن أرندت سعت إلى تحويل الممارسة السياسية لتصور الحرية إلى نشاط يومي، يقوم بدمج الأفراد داخل النشاط السياسي، أي تتحول السياسة موضوعا يستهلك بشكل يومي داخل الجماعات، نستطيع أن نسلم بأن غاية السياسة هي الحرية لكن يبقى السؤال مطروح، هو بأي طريقة سيفهم الإنسان العادي جهاز السياسة وعملها المعقد؟، فهذا السؤال

سيعطينا إجابات متضاربة، هو أن السياسة ستتحول إلى موضوع عام تمارسه كل طبقات المجتمع باختلافها.

أرندت تحدثت بأن الواقع المعاصر يساهم في غموض العمل السياسي وغايته، إلا أن في الحقيقة قدمت لنا مفهوما أكثر غموضا لأنها وضعت السياسة في عموميات النشاط اليومي وجعلتها كسلعة مستهلكة، وهذا طبعا راجع إلى الظروف السياسية التي عايشتها أرندت خلال الحرب العالمية الثانية، فهي ظروف قاهرة جعلت منها مفكرة حرة، غجرية الأفكار، وأعلنت خروجها صراحة من دائرة الفلسفة، لأنها هي من صنعت الذات المدمرة والنزعة العدمية، وفي قولها بأن الفلسفة تقليد يجب تجاوزه، وصرحت بأنها منظرة سياسية، إلا أن مساهمة أرندت في تشكيل الوعي حول مفهوم الحرية وتسطيرها لأصالة العمل السياسي هي مساهمة جبارة في إعادة النظر إلى غاية السياسة، بحيث هي مبادرة راشدة تعيد النظر في قضايا عصرية عديدة متزامنة مع ظرفية صعود السلطات التوتاليتارية وجرائمها اللا معدودة إزاء البشرية، فهي قدمت مفاهيم وصفية فينومينولوجية بعيد عن التأسيس الميتافيزيقي للتصورات، فهي تدافع عن واقعية النشاط الدؤوب للمواطنين وما مدى اندماجهم مع مؤسساتهم السياسية، لذا ترى أرندت أن غاية السياسة هي الحرية، المشاركة، القدرة على الكلام، الحوار.

قائمة المراجع:

1. جورج طرابيشي. (2006). معجم الفلاسفة، ط3. بيروت. دار الطليعة للطباعة والنشر.
2. جون بول سارتر. (2003). الوجودية مذهب إنساني/ تر: كمال الحاج، ط1. بيروت. دار الطليعة.
3. حنة أرندت. (د.س). الوضع البشري، تر: هادية العرقي، بيروت. جداول للنشر والتوزيع.
4. حنة أرندت. (2014). بين الماضي والمستقبل، ستة بحوث في الفكر السياسي. ط1. تر: بشناق عبد الرحمان، مر: زكريا إبراهيم. بيروت. جداول للنشر والتوزيع.
5. حنة أرندت. (2008). في الثورة. ترجمة عطا عبد الوهاب. بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية.
6. حنة أرندت. (2014). ما السياسة. ط1. تر وتح: زهير الخويلدي، سلمى بالحاج مبروك. الجزائر. منشورات الاختلاف.
7. حنة أرندت. (1992). في العنف. ط1. ترجمة إبراهيم العريس، دار الساقي، بيروت، ط1.
8. علي حرب. (2005). مسألة الحرية. مساحة اللعبة وازدواج الكينونة، عالم الفكر، عدد يناير، مارس.
9. محمد نور الدين أفاية. (1998). الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة. ط2. المغرب. افريقيا الشرق.